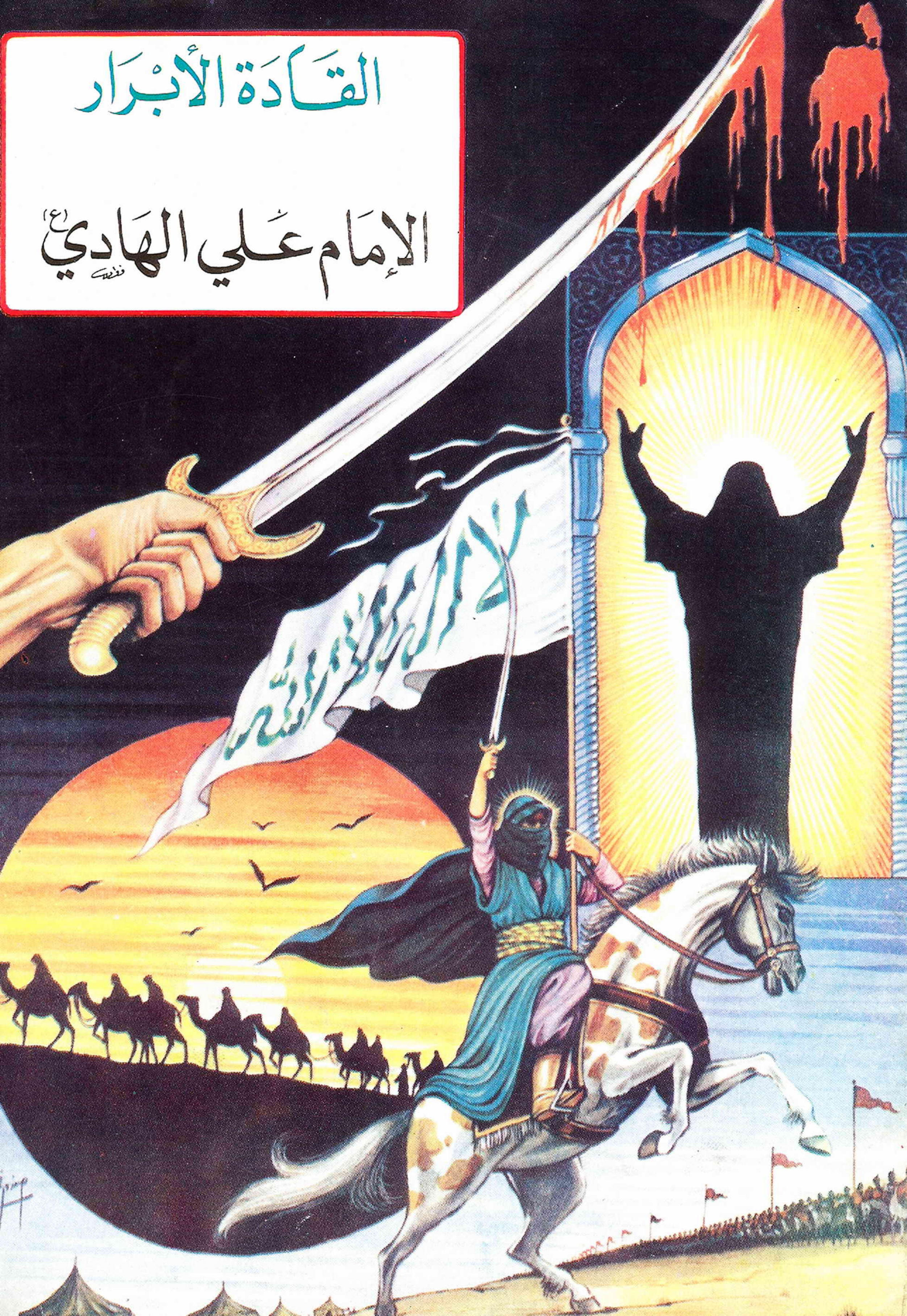

القادة الأبرار
الإمام علي الهادي (ع)

القادة الأبرار

الإمام علي الهادي (ع)



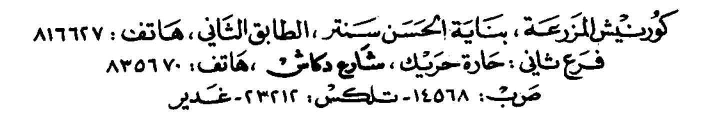
الدار الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م




كورنيش المزرعة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فرع ثاني: حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
ص.ب: ١٤٥٦٨ - تلكس: ٢٣٢١٢ - غدير

الإمام علي الهادي عليه السلام

الاسم : الإمام علي الهادي (ع)
اسم الأب: الإمام محمد الجواد (ع)
اسم الأم : سمانة
تاريخ الولادة: ١٥ ذي الحجة سنة ٢١٤ للهجرة
محل الولادة: صريا (من ضواحي المدينة)
تاريخ الاستشهاد: الثالث من رجب سنة ٢٥٤ للهجرة
محل الاستشهاد: سامرّاء
محل الدفن: سامرّاء.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

« صَرْيا » المزرعةُ المُباركَةُ

﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللهُ عَملَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ ﴾.

كانَتْ هذهِ الآيةُ الكريمَةُ نِبْراساً لِأَئمَّةِ الهُدى ومَصابيح الأُمَّةِ في سَعيهِمْ وعَملِهِمْ، فَقدْ عَمِلوا بِها وعَلَّمُوا النّاسَ، وأرشَدوهُمْ لما فيهِ هِدايَتُهِمْ، ومَا فيهِ رِضى للهِ ورَسولِه، وبيَّنُوا لهمْ شَرَفَ العَملِ وَقيمتَهُ منْ خِلالِ الارْتباطِ بالأَرضِ، والقِيامِ بِزراعَتِها وإِصلاحِها، كما عَمِلوا بأَيديهم في غَرْسِ الأَشْجارِ، فكانُوا نَموذَجاً لِلمُزارعينَ العامِلينَ في رِعايةِ الأرضِ والاسْتِفادةِ من خَيْراتِها. وكانتْ المزارِعُ الَّتي أنشَأها الإِمامُ الكاظِمُ عليهِ السَّلامُ خيرَ مِثالٍ على ذَلكَ. فقدْ أنشَأَ عِدَّةَ مَزارِعَ مِنها مَزرعةُ « صَرْيا » بالقُربِ من المَدينةِ المُنوَّرَةِ، وَقدْ تعَهَّدَها بَعدَهُ الأَئمَّةُ الأَطهارُ من وَلَدِهِ عليهِمْ السَّلامُ، وقَدْ أحَبَّ الإِمامُ الجوادُ هذِهِ المزرعةَ



حُبّاً جَمّاً، وقَضى فيها مُعظَمَ أوقاتِه عامِلاً ومُزارِعاً وَمُرشِداً، وخَصَّصَ فيها لِزَوجَتِه الثّانيةِ « سُمانَة » مَنزِلاً أقامتْ فيهِ، وَتحوَّلتْ « صَرْيا » بِفضْلِ جُهودِه إلى ضَيْعَةٍ يتردَّدُ عَليها مُحِبّو الإمامِ وأنصارُه، وفي هذهِ المزْرعةِ وُلِدَ الهادي عليهِ السَّلامُ وأسْمَوْهُ عِلِيّاً.

أمضى عليُّ الهادي طُفولَتَهُ بِهدوءٍ إلى جِوارِ أُمِّهِ وأبيهِ، وبينَ الفَلاَّحينَ العامِلينَ في المزرعَةِ، وفي أحضانِ الطَّبيعةِ أطْلقَ بَواكيرَ تأمُّلاتِهِ في عَظَمةِ الخالقِ. لكنَّ الأيّامَ الهادِئةَ لَمْ تَطُلْ، فقدْ اسْتُقْدِمَ أبُوهُ إلى بغدادَ بأمرٍ منَ المُعتَصِمِ العبّاسِيِّ. وغادَرَ « صَرْيا » مُخَلِّفاً فيها وَلَدَهُ الهاديَ وأُمَّهُ سُمانَةَ، وكانتْ هذهِ الرِّحلَةُ إلى بَغدادَ آخِرَ عَهْدِه بالمزرعَةِ ومَنْ فيها. فقد اسْتُشْهِدَ عليهِ السَّلامُ وَدُفِنَ في الكاظِميَّةِ قُربَ بَغدادَ، وكانَ قبلَ سَفَرِهِ قَدْ أوصى بالإمامَةِ لابنِهِ الهادي عَليهِما السَّلامُ، وكانَ لِلهادي من العُمْرِ ستُّ سَنواتٍ.

الإمامَةُ

كَلَّفَ المعتصِمُ ـ الحاكمُ العبّاسِيُّ ـ رجُلاً يثِقُ بِهِ بِالقيامِ على تَعليمِ الإمامِ الهادي، بُغْيَةَ الابْتِعادِ بِهِ عن خَطِّ أهلِ البيتِ، وتَقريبِهِ منْ خَطِّ العبّاسِيّينَ، وحَثِّه عَلى

إطاعةِ الحُكّامِ والاعْتِرافِ بِشَرْعِيتّهم، غَيْرَ أنَّـهُ اصْطَدمَ بما يَتَمتَّعُ بِهِ الامامُ منْ ذَكاء، وما رَضِعَـهُ من مَعرفَةٍ امْتازَ بِها أهلُ هذا البيتِ الكريمِ وتَوارَثُوها، خَلَفاً عنْ سَلَفٍ، ورَغمَ تَوفُّرِ هذا الرَّجُلِ على تَعليمِ الإمامِ فقدْ فُـوجِئَ يَوماً ـ إذْ طلبَ منهُ إسماعَهُ بعضَ ما عَلَّمَه إيّاهُ ـ بِجوابِ الإمامِ قَائِلاً: بَلْ سَلْني عَنْ آياتٍ مِنَ القُرآنِ الكَريم أَتْلُهَا عَليكَ. وقد نَسيَ هذا الرَّجلُ أو تناسَى قولَ رسولِ ربِّ العَالَمين، في حَديثٍ قُدسيٍّ رَدَّدَهُ في مُناسَباتٍ كثيرةٍ:

«إنّي تـارِكٌ فيكُمْ مَـا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِـهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتِي». وَنَسِي أَوْ تَناسَى أَنَّ أهلَ هذا البيتِ حَمَلوا عنْ رسُولِ اللهِ عُلومَ النَّبيّينَ، وَعَقَلُوا عنهُ أَحكامَ الدُّنيا والدّينِ.

بقيَ الإمـامُ الهادي في المـدينـةِ يُمـارِسُ مُهِمّـاتِ الإمامَةِ بِهُدوءٍ لَمْ يَخْلُ منْ رَقابَةٍ شَديدَةٍ فُرِضَتْ عليهِ مِنْ قِبَـلِ السُّلطَةِ، حتّى جـاوزَ العِشـرينَ منْ عُمْـرِهِ، وقـدْ اتَّسَعتْ شُهرَتُه، وصارَ القَريبُ والبَعيدُ يَرجعونَ إليه في أُمورِ دِينِهمْ، ويَستَعينُونَ بِهِ على ما يَعتَرِضُهُمْ من مَشاكِلَ في أُمور دُنياهُمْ.

فُرْنٌ كَبِيرٌ

مـاتَ المُعتَصِمُ العبّـاسيُّ، وخلَفَـهُ في الحُكْمِ هارونُ بنُ مُحمَّدٍ، المُلَقَّبُ بالواثِقِ، وكانَ الواثِقُ رَجُـلَ لَهْوٍ وَمُجونٍ وطَرَبٍ، انْصَرَفَ إليهـا وترَكَ أُمـورَ الحُكْمِ يُصَرِّفُها وَزيرُه « الزَّيّاتُ »، وكانَ الزَّيّاتُ رَجُـلاً قاسيـاً، فَتَحَ السُّجونَ لِخُصُومِ الواثِقِ، وأَنشَـأَ في أَحَدِهـا فُرنـاً كَبيراً جَهَّزَهُ بِمُختَلِفِ آلاتِ وَوَسائِلِ التَّعذيبِ، وكانَ مِنْ ضَحايا هذا السِّجنِ أَخُو الواثِقِ نفسِه،وَيُلقَّبُ بالمُتوكِّلِ ، وقدْ لَقِيَ المُتوكِّلُ الكثيرَ مِنْ صُنوفِ التَّعذيب على يَدَيْ « الـزَّيّاتِ » نَـظَراً للخِلافِ المُستَحْكِمِ بينَ الأَخَـوَيْنِ، وَلِتَنافُسِهما الشَّديدِ على الحُكْمِ .

لَمْ يَطُلْ حُكمُ الواثِقِ، فقدْ ماتَ بعـد حَوالَيْ ستِّ سنـواتٍ، وخلفَهُ أخـوهُ المتوكِّـلُ، الّـذي افتَتَـحَ عَهـدَهُ بالانْتِقامِ من وَزيرِ أَخيهِ، إذْ رَماه في الفُرنِ الّـذي أعدَّهُ الوَزيرُ نَفْسُه، وكانَتْ نِهايَةُ هـذا الوزيـرِ الجبّارِ مِصْـداقاً للقول: « مَنْ حَفَرَ بِئْراً لأَخيهِ وَقعَ فِيهَا ».

الحقد على الشهداء كما على الأحياء

وبَعْد أنْ اسْتَقَرَّ الأمرُ للمُتوكِّـلِ ، وجَّهَ سِهـامَ حِقدِه نحـوَ آلِ مُحمَّدٍ سَـلامُ اللهِ عَليهِمْ، فَقدْ كـانَ يُكِنُّ لَهُمْ

كُرْهاً شَديداً، فاقَ فيهِ مَنْ سَبَقَهُ من الحُكّام ، وقدْ بَلَغَ بِهِ التَّعَصُّبُ والحِقْدُ أنْ أسفرَ عَنْ عِدائِه فَأَمَرَ بِهَدْمِ قَبْرِ الحُسينِ سَيِّدِ الشُّهداءِ عليهِ السَّلامُ، وسَوَّى الضَّريحَ الشَّريفَ بالتُّرابِ، وأمرَ بِحَرْثِ الأَرض وزَرْعِها لِتَضيعَ مَعالِمُهُ، كَما قَتَلَ عَدداً كَبيراً مِنْ زُوّارِهِ، لِأَنَّ زِيارةَ الشُّهداءِ تُؤَجِّجُ نارَ الثَّورَةِ والغَضَبِ ضِدَّ الطُّغيانِ والطُّغاةِ في كُلِّ عَصْرٍ، وتُلْهِبُ المشاعِرَ ضِدَّ الظُّلمِ والظّالِمينَ، ورَغْمَ كُلِّ تِلْكَ القَسْوَةِ، بَقِيتْ قَوافِلُ الزُّوارِ تَتَوافَدُ إلى هَذا المَكانِ الشَّريفِ دُونَ انْقِطاعٍ ، ﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾.

قالَ أَحدُ الشُّعراءِ مُسْتَنكِراً جَرِيمَةَ المُتَوكِّلِ :

تَـاللهِ إِنْ كـانَتْ أُمَيَّـةُ قَـدْ أَتَتْ
قَتْـلَ ابْنِ بِـنْتِ نَبِيِّـهـا مَـظلُومـا
فَـلقَـدْ أَتَتْـهُ بَـنُـو أَبيـهِ بِـمِثْلِهِ
فَغَـدا لَعَـمـرُكَ قَبْـرُهُ مَـهـدُومـا
أَسِفُوا على أَلاّ يَكُـونُـوا شَـارَكُـوا
فِـي قَـتْـلِهِ فَـتَـتَبَّـعُـوهُ رَمِـيـمـاً

يُشَبِّهُ الشّاعِرُ ما فَعلَه الأُمويّونَ بِحَقِّ أهلِ البيتِ مِنْ قَتْلٍ وسَبيٍ وتَشْريدٍ، بِما قامَ بِهِ العَبّاسِيّونَ بَعدَهُمْ مِنْ



هَدْمِ قُبورِ من استُشهِدَ منَ الأَئِمَةِ، وإِلحاقِ الأَذى بمنْ كانَ مِنْهم حَيّاً، رَغْمَ قَرابَتِهِمْ، وادِّعائِهِمْ مَحبَّتَهم.

التَفتَ المُتوكِّلُ بَعدَها إلى الأَحياءِ، فَقدْ كانَ ما يَصِلُ إِليهِ عَنْ التِفافِ النّاسِ حَولَ الإِمامِ الهادي يَشْغَلُ تَفكيرَهُ ويُثيرُ غَضَبَهُ، لكنَّهُ لم يكنْ يَملِكُ عليهِ حُجَّةٍ يَتذَرَّعُ بِها، أو ذَنْباً يَأخُذُه بِه، فَرأى أنْ يلجأَ إلى الأُسلوبِ القَديمِ الَّذي اتَّبعهُ أَسلافُه، وهوَ أنْ يَسْتَقْدِمَ الإِمامَ إِليهِ، مُدَّعِياً مَحبَّتَهُ، والرَّغْبَةَ في القُربِ مِنهُ، فَكتَبَ إِليهِ كِتاباً مَلأَهُ بالدَّجَلِ والخِداعِ! وَمِمّا جاءَ فيهِ: أَميرُ المُؤمنينَ مُشتاقٌ إِليكَ!.. فإنْ نَشِطْتَ لِزيارتِه والمُقامِ قِبَلَهُ ما أَحْبَبْتَ، شَخَصْتَ ومنْ اخْتَرْتَ مِنْ أهلِ بيتِكَ.. على مَهْلٍ وطُمَأْنينَةٍ، تَرْحَلُ إذا شِئْتَ، وتَنْزِلُ إِذا شِئْتَ، كَيْفَ شِئْتَ.. فاسْتَخِرْ اللهَ حتّى تُوافِيَ أَميرَ المُؤمنينَ، فَما أحدٌ من إِخوانِه ووَلَدِه وأهلِ بيتِه وخاصَّتِه أَلطفُ مِنك مَنْزِلَةً عِندَهُ.. والسَّلامُ عَليكَ ورحمةُ اللهِ وبَركاتُه.

وَأَوْفَدَ المُتوكِّلُ إلى الإِمامِ عليهِ السَّلامُ أَحدَ رِجالِه ويُدعى يَحيي بْنَ هَرثَمَةَ، فَحمَّلَهُ كِتابَهُ إِليهِ، وأَمرَهُ بِتفْتيشِ دارِ الإِمامِ تَفتيشاً دَقيقاً، لأَنَّه عَلِمَ أَنَّ الإِمامَ يَجمعُ السِّلاحَ والمالَ والرِّجالَ للثَّوْرةِ عليهِ. ولمّا دخلَ

المَدينةَ أحسَّ النّاسُ بالشَّرِّ، وخَافُوا على الإمامِ عليهِ السّلامُ، لِأَنَّهُم يعرِفُون مَشاعَرَ المُتوكِّلِ نحوَ أهلِ البيتِ (ع)، لكنَّ ابنَ هَرثَمَة طَمْأَنَ النّاسَ بأَنَّهُ لم يُؤْمَرْ فيهِ بسوءٍ ولا مَكْروهٍ، لكنَّهُ معَ هَذا دخلَ البيتَ وفتَّشَهُ، فلَمْ يَعثُرْ فيه إلا عَلى مَصاحِفَ وأدعيةٍ وكُتبٍ عِلميَّةٍ.

أما الإمامُ عليهِ السَّلامُ فقد كانَ يَعلَمُ أنَّ الأُسلوبَ الهادِئَ اللّيِّنَ، الذي خاطبَهُ بهِ المُتوكِّلُ في كتابه إليهِ، ليسَ إلا نِفاقاً يُخفي تحتَهُ ما يَعلَمُه الجميعُ من شِدَّةِ عداوَةِ المتوكِّلِ لعليٍّ وآلِ عليٍّ، وكُلِّ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِمْ بنَسَبٍ أو سَبَبٍ، كما يَعلمُ أيضاً أن المتوكِّلَ لا يُمكِن أن يَدَعَهُ آمِناً في مَدينةِ جدِّه (ص)، ولا بُدَّ من الاسْتِجابَةِ لِطَلَبِه، وهكذا كانَ، وتوجَّهَ الإمامُ إلى بَغدادَ مع مَبعوثِ المُتوكِّل.

في الطَّريقِ إلى سامُرَّاءَ

يَروي ابنُ هَرثمةَ أَنَّهم بينَما كانُوا في الطَّريقِ، والسَّماءُ صاحِيةٌ، والشَّمسُ طالِعَةٌ، إذْ وَضَعَ الإمامُ عليهِ ما يَقِيه المطَرَ، فعَجِبَ ابنُ هَرثَمةَ لِفِعْلِ الإمامِ، فلمْ تكُنْ إلّا هُنَيْهَةٌ حتّى جاءَتْ سَحابَةٌ، واكْفَهَرَّ الجَوُّ، وسقَطَ مطرٌ غزيرٌ. فالْتَفتَ الإمامُ إلى ابْنِ هرثَمةَ قائِلاً:



أَنا أعلَمُ أنَّكَ قد أنْكَرْتَ ما رأيتَ، وتوَهَّمْتَ أَنِّي قد عَلِمْتُ مِنَ الأَمْرِ مَا لا تَعْلَمُهُ، وليسَ ذلكَ كَمـا ظَنَنْتَ؛ ولكِنّي نَشَأْتُ بِالبادِيَةِ، فَأنا أَعْرِفُ الرِّياحَ الّتِي يَكونُ في عَقِبِها المطرُ، فلمّـا أصْبَحْتُ، هَبَّتْ ريحٌ شَمَمْتُ منهـا رائِحةَ المَطرِ، فتأَهَّبْتُ لِذلكَ، وكانَ الأمرُ كَما رأيتَ.

إنَّ لِأهـلِ البيتِ عَشَراتِ الكَـراماتِ، وليسَ ذلـكَ بِغَـريبٍ عَلى مَنْ اصْـطفـاهُم اللهُ من عِبـادِه، وجعَلَهمْ حُجَجَـهُ على خَلْقِـهِ، والأَدِلّاءَ عَلى طـاعَتِـهِ، وهمْ مَنْ نَـذَرُوا أنْفُسَهمْ للهِ، واسْتَجابُـوا لِأَمْـرِهِ ونَهْيِـهِ، وإنَّ في سِيرَتِهِم، ومَواقِفِهمْ منَ الظُّلمِ والظّالِمينَ، وتَضْحياتِهِم في سبيلِ اللهِ وخيرِ النّاسِ ، خيْرَ دَليلٍ على عَظَمَتِهِم، عَليهِمْ رِضْوانُ اللهِ وسَلامُهُ.

ويُتابِعُ يحيي ابنُ هَرْثمةَ رِوايَتَهُ عن رِحلةِ الإمامِ إلى سـامُـرّاءَ، فَيتحـدَّثُ عن وُصـولِهِمْ إلى بَغْـدادَ (وكَانَتْ تُدعَى دارَ السَّلامِ)، فَخرجَ النّاسُ لاسْتِقبالِهِم، يَتقَدَّمُهم إسحـاقُ بنُ إبـراهيمَ الـطّاهِـريُّ، والِي بَغْـدادَ، الّـذي خاطَبَ ابنَ هَرْثَمةَ قائِلاً: يا يَحيي، إنَّ هـذا الرَّجُـلَ قد وَلَدَهُ رسولُ اللهِ (ص)، والمُتوكِّلُ مَنْ تَعْلَمُ، فإنْ حَرَّضْتَهُ على قَتْلِهِ كانَ رَسولُ اللهِ خَصمَكَ، فَأجابَه يَحيي : واللهِ

ما وقفتُ مِنْهُ إلا على كُلِّ أمرٍ جَميلٍ .

يَقـولُ ابنُ هَرثمـةَ: صِرنـا إلى سـامُـرّاءَ، وبـدأتُ بوَصِيفٍ التُّركيِّ، وكنتُ مِنْ أصحابِه، فقـالَ لي : «واللهِ لَئِنْ سَقَـطَتْ منْ رأسِ هَذا الـرَّجُـلِ شَعْـرَةٌ، لا يكـونُ المُطالِبُ بِها غَيْري.

فَعجِبْتُ منْ تَوافُقِهِما في الرَّأْيِ ؛ ولمّا دَخلتُ عَلى المتوكّلِ سَألَني عنهُ. فأَخْبَرْتُهُ بحُسنِ سِيرتِـه، وسَلامَـةِ طَريقِه، وَوَرَعِه وَزُهدِه؛ وَأَنّي فَتَّشْتُ دارَهُ فلمْ أَجد فيها غيرَ المَصاحِفِ وكُتُبِ العِلمِ ، وأنَّ أهلَ المدينـةِ خافُـوا عليهِ لمّا وَرَدْتُ المدينةَ، وضَجُّوا بِأَجمعِهِم، ولمْ يهدأُوا إلا بعدَ أنْ حَلفْتُ لهمْ بأنَّ الأميـرَ لا يُريـدُ به سُـوءاً . فأكرَمَهُ المتوكِّلُ، وأنزَلَهُ في دارٍ قد أعَدَّها لهُ.

ويُروى أنَّ المتوكّـلَ لم يَأذَنْ لـلإمامِ عليـهِ السَّلامُ بالدُّخولِ عليهِ، في اليومِ الّذي وصلَ بهِ إلى سامُرّاءَ، بلْ أنزَلَه في خانٍ يُعْـرَفُ بخانِ الصَّعـاليكِ، فَـأقامَ فيـهِ يَوْمَهُ، وَفي اليومِ الثّاني أَذِنَ لهُ بالدُّخولِ عليهِ، ثُمَّ أفْرَدَ لهُ داراً لِيَسكُن فيها.

الإمامُ في سامُرّاءَ

خِلالَ وُجودِ الإمامِ في سامُرّاءَ، كانَ المُتَوكِّلُ يَتَظَاهَرُ بتَعْظِيمِه وإكرامِه، لكنَّه كانَ يُراقِبُ جَميعَ تحرُّكاتِه وتَصَرُّفاتِه. وكانَ أنصارُ الإمامِ يَتَّصلونَ بِهِ في الغالبِ عنْ طَريقِ الكِتابَةِ والمُراسَلَةِ. وكان المُتوكِّلُ يَستدعيهِ إلى مجلِسِه بينَ الحينِ والآخَرِ. وكانَ كَثيراً ما يَأمُرُ رِجالَهُ بِالإغارَةِ على دارِ الإمامِ وتَفتيشِها، بَحْثاً عنْ المالِ والسِّلاحِ، فيُقابِلُهُم الإمامُ عليهِ السَّلامُ بِهدوءٍ وثِقَةٍ، ويُساعِدُهم في التَّفتيشِ أَحْياناً.

ويُروى في هذا المَقامِ أَنَّ أحَد رِجالِ المُتَوكِّلِ ويُدعى «البَطْحانِيَّ»، وكانَ يُضْمِرُ للإمامِ عَداوةً شَديدةً، سَعى بالإمامِ إلى المتوكِّلِ قائلاً: إنَّ عندهُ أَموالاً وسِلاحاً، فأمرَ المُتوكِّلُ حاجِبَهُ واسمُهُ سَعيدٌ بِالهُجومِ على الدّارِ لَيلاً، فقَصدَ الحاجِبُ دَارَ الإمامِ معَ رِجالِه، وصَعِدوا على سَطْحِها بواسِطَةِ سُلَّمٍ أحضَروه مَعَهُم، لكنَّهمْ لم يَرَوْا طَريقَهُم في الظَّلامِ، فَنادى الإمامُ الحاجِبَ قائِلاً: يا سَعيدُ، مكانَكَ حتَّى يأتُوكَ بِشَمعةٍ، ثُمَّ أتَوْا لهُ بِشَمعةٍ فَنزلَ مع رِجالِه، ووجَد الإمامَ مُرتَدِياً جُبَّةً وَقَلَنْسَوَةً من صُوفٍ، وهُوَ مُتَوَجِّهٌ إلى القِبلَةِ للصَّلاةِ،

فقالَ لِسَعيـدٍ: دونَـكَ البُيـوتَ، (أيْ الغُـرَفُ أمـامَـك فَفَتِّشْها)، وبعدَ التَّفتيشِ لمْ يَجِدوا ما أَتَوْا في طَلَبِهِ من مالٍ وَسلاحٍ، سوى بعضِ الكُتُبِ، فاعْتـذَرَ سَعيدٌ من الإمـامِ بحُجـةِ أنَّه مـأمـورٌ، فـأجـابَـهُ عليـهِ السَّـلامُ: ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾.

وفي مَـرَّةٍ أخـرى، أُحْضِـرَ الإمـامُ إلى مجلسِ المتوكِّلِ، وكـانَ يَجلِسُ إلى مائِـدةٍ وفي يدِه كـأسٌ من الشَّرابِ، فَأجْلَسهُ إلى جانِبِـه وَقدَّمَ لـهُ الكَأسَ الّتي في يدِه، لَكنَّهُ طلَبَ إعفاءَهُ فَأَعْفاهُ، غيرَ أنَّه طَلبَ أنْ يُنشِدَهُ شِعْراً يَسْتَحْسِنُه، فاعتَذَرَ ثانِيةً، لكنَّهُ أَلحَّ عليهِ ولمْ يَقْبَلْ لهُ عُذراً، فَأنْشَدَهُ:

بَـاتُوا عَلى قُلَلِ الأَجْبـالِ تَحرُسُهمْ
غُلْبُ الـرِّجـالِ فَمـا أَغْنَتْهُمُ القُلَلُ
واسْتُنْزِلـوا بَعْـدَ عِزٍّ عَن مَعـاقِلِهِمْ
فَـأُودِعُـوا حُفَـراً يَـا بئْسَ مَـا نَـزَلـوا
نَـاداهُمُ صَـارِخٌ مِنْ بَعْـدِ مَـا قُبِرُوا
أيْـنَ الأَسِـرَّةُ والتِّيجَـانُ وَالـحُـلَلُ
أَيْنَ الـوُجـوهُ الَّتِي كَـانَتْ مُنَعَّمَـةً
مِنْ دُونِهـا تُضْـرَبُ الأَسْتـارُ وَالكُلَلُ

فَـأفْصَحَ القَبْـرُ عَنْهُمْ حِينَ سـاءَ لَهُمْ
تِلْكَ الـوُجُـوهُ عَلَيْهـا الـدُّودُ يَنْتَقِـلُ
قَـدْ طَالَ مَـا أَكَلُوا دَهْراً وَمَـا شَرِبُـوا
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا
وَطَــالَمــا عَمَــرُوا دُوراً لِتَحْضُنَـهُمْ
فَفَــارَقُـوا الــدُّورَ والأَهْلِينَ وانْتَقَلُوا
وطَـالَمـا كَنَـزُوا الأَمْـوالَ وادَّخَــرُوا
فَخَلَّفُـوهَـا على الأَعــداءِ وارْتَحَلُوا
أَضْحَتْ مَنــازِلُهُـمْ قَفْــراً مُـعَــطَّلَةً
وسَاكِنُوهـا إِلى الأَجْداثِ قَـدْ رَحَلُوا

يَصِفُ الإمامُ في هذهِ الأبياتِ مَظاهِرَ القُوَّةِ والعَظَمةِ لَدى الحُكّام ، ويَصِفُ قُصورَهُم وحَياتَهُمْ المُترفَةَ، ثُمَّ يُصَوِّرُ زَوالَ كُلِّ هذهِ النِّعَمِ ونِهايَةَ أصحابِها إلى القُبورِ، تَعْدو عليهِمْ الدّيدانُ فَتأكُلُ وُجوهَهُم وأعضاءَهُم ، بعدَ أنْ كانُوا يأكُلونَ النّاسَ وأَمْـوالَهُمْ. وَواضِحٌ أَنَّ الإمـامَ عليهِ السَّلامُ يَرمي إلى عِـظَةِ المُتوكِّـلِ ونُصْحِهِ، ورَدْعِـهِ عن مُجونِهِ وآثامِه.

أمّـا المتوكِّـلُ الّذي لمْ يكنْ يَتَـوقَّعُ مِنَ الإمـامِ أنْ يُنشِدَهُ شِعراً منْ هذا النّوعِ ، فقدْ بَكى بُكاءً شَديداً، وأمرَ

بِرفع الشرابِ منْ مَجلِسِه، واعْتَذَرَ من الإمامِ ، ووَدَّعَهُ مكرَّماً.

لقدْ حاوَلَ المتوكِّلُ إذلالَ الإمامِ أَمامَ حاشِيَتِه، فَقدَّمَ لهُ الشَّرابَ وهوَ يَعلَمُ أنَّ الإمامَ يَرى أَنَّ شارِبَ الخَمرِ كَعابِدِ الوَثَنِ، ولمّا أبى، طلبَ أنْ يُنشِدَه شِعراً في وصفِ الخَمرِ والجَواري، ولم يكنْ يتوقَّعُ أنْ يَصْفعَهُ الإمامُ عليهِ السَّلامُ هَذهِ الصَّفْعَةَ، أوْ أنْ يَجْرُؤَ على صَبِّ هذهِ الصَّواعِقِ عليهِ، لكنَّهُ أَمامَ هذا الوَصْفِ الرّائعِ للجَبابِرَةِ في حَياتِهم وبعدَ مَوْتِهم، ولِتلْكَ الوُجوهِ النّاعِمَةِ الطَّرِيَّةِ يَعْبَثُ فيها الدّودُ، لمْ يَستَطِعْ إلاّ التَّأَثُّرَ بِهَذِهِ الحَقائِقِ الواضِحَةِ، والبُكاءَ مِنْ شِدَّةِ الخَوفِ والجَزَعِ مِمّا يَنْتَظِرُهُ غَيْرَ بَعيدٍ.

أعمالُهُ ومَآثِرُهُ عليه السَّلامُ

انْصرَفَ الإمامُ الهادي عليهِ السَّلامُ إلى خِدمَةِ الإسلامِ الحنيفِ، عنْ طَريقِ الدّفاعِ عن أُصوله ونَشْرِ فُروعِه، فَناظَرَ المُشكِّكينَ وتَصَدّى للمُحَرِّفينَ المُنْحَرِفينَ، بالإجابَةِ عن أسْئِلَتِهم بالأُسلوبِ الهادئِ الرَّصينِ، المدْعوم بالحُجَّةِ والمَنْطِقِ، وكانتْ الرَّسائلُ تَصِلُهُ من مُختَلِفِ أَنْحاءِ العالَمِ الإسلاميِّ، وَيتلقّى

الأموالَ الشَّرعيَّةَ فيصْرِفُها في وُجوهِها وعلى المَصالِح الإِسلاميَّة العامَّة.

ومنْ مَواقِفه المشْهودَةِ، مَوْقِفُهُ من الغُلُوِّ والغُلاةِ، والّذي اتَّسَمَ بالصَّلابَةِ والصَّراحةِ، وقدْ شَهَّرَ بهمْ واعتبَرهُمْ منَ المُنحَرفينَ عنِ الخَطِّ الرِّساليِّ. الذي دافعَ عنهُ الأئِمَّةُ عليهمْ السَّلامُ بِكُلِّ قُوَّةٍ.

قالَ لشخصٍ أفْرَطَ في الثَّناءِ عليهِ ما مَعناه: إنَّ كَثْرَةَ التَّمَلُّقِ تُثيرُ الظَنَّ والرِّيبَةَ، فَإذا أحبَبْتَ أَخاكَ فلا تَتَمَلَّقْهُ، بلْ أَحسِنْ إليهِ عَملاً وَنيَّةً.

ومِنْ أقوالِه عليهِ السَّلامُ: مَنْ أطاعَ الخالِقَ لم يُبالِ بسُخْطِ المَخلُوقينَ.. مَن كانَ على بيِّنَةٍ من رَبِّهِ هانَتْ عليهِ مَصائِبُ الدُّنيا.. منْ جمعَ لكَ وُدَّهُ وَرأيَهُ فاجْمَعْ لهُ طاعَتَكَ، وَمنْ هانَتْ عليهِ نَفْسُهُ فَلا تأْمَنْ شَرَّهُ، ومَنْ رَضِيَ عنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُون عليهِ.

وقالَ عليهِ السَّلامُ: المُصيبةُ للصّابِرِ واحِدَةٌ، وللجازِعِ اثْنَتانِ. (الجازِعُ: نَقيضُ الصّابِر). وقالَ أَيْضاً: الجَهلُ والبُخلُ أَذَمُّ الأَخْلاقِ، والطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ. والهُزءُ فُكاهَةُ السُّفَهاءِ وصِناعَةُ الجُهَّالِ.

الشَّهادَةُ

ذَكرْنَا أَنَّ الإمامَ الهاديَ عليهِ السَّلامُ أقامَ في المدينةِ مَعَ أبيهِ الإمامِ الجَوادِ في بِدايَةِ حَياتِه، وحينَ بلغَ السّادسَةَ من العُمْرِ تُوُفِّيَ أبوهُ، وبَقيَ في المدينةِ حتّى بلغَ العِشرينَ من عُمْرِهِ، وكانَ ذلكَ في أيّامِ المُعتَصِم العَبّاسِيِّ، وذَكرْنا أيضاً أنَّ المُتوكِّلَ استَقْدَمَهُ إلى سامُرّاءَ، وبَقِيَ فيها طِيلةَ حُكْمِهِ حتّى قُتِلَ المُتَوَكِّلُ بيدِ ابْنِه، وخَلَفَهُ من بَعدِهِ المُنتَصِرُ والمُستَعينُ باللهِ والمُعتَزُّ، ويَبدو من تاريخِ حَياتِه عليهِ السَّلامُ، أنَّ السنينَ السَّبعَ التي قَضاها في أيّامِ الحُكّامِ الثَّلاثَةِ المذكُورينَ، كانتْ فترةً هادِئَةً، لم يشهدْ فيها مِنَ الوشاياتِ والمُضايقَاتِ ما شَهِدَهُ أيّامَ المُتوكِّلِ ، وقد اكْتَفى الحُكّامُ الثّلاثةُ بِفَرْضِ الإقامةِ الجَبْرِيَّةِ عليهِ في سامُرّاءَ، والدَّليلُ على ذلكَ هُوَ بَقاؤُهُ في سامُرّاءَ،في حينَ أنَّهُ كانَ دائماً يَحِنُّ إلى مَدينةِ جدِّه المُصطَفى (ص) ولا يَرضَى عَنها بَديلاً.

والهدوءُ الّذي نَعِمَ بهِ في هذهِ الفَتْرةِ، لا يَعودُ إلى طِيبَةِ أُولئكَ الحُكّامِ ، إنّما سَبَبُهُ أنَّ سُلطَةَ الحُكّامِ العَبّاسيّين كانتْ قد تَقَلَّصَتْ وضَعُفَتْ، وصارَ الحاكِمُ لا يَملِكُ غيرَ الاسْمِ فَقطْ، بينَما غَدَتْ السُّلطَةُ في أَيدي

القُوّادِ الأتْراكِ وغَيرِهِم، فَهمْ الَّذينَ كانُوا يأمُرون وينهَوْنَ، ويُعَيِّنون ويَعْزِلُونَ، حتى أنَّهُم إذا غَضِبُوا من الحاكِمِ نَفسِه، عَزلُوهُ أو قَتَلوهُ، وعَيَّنوا غيرَهُ؛ كما حدَثَ للمُستَعينَ بِاللهِ، حيثُ عَزلوهُ وعيَّنوا مَكانَهُ المُعتَزَّ بعدَ أنْ كانَ مُعتَقلاً.

وفي عهدِ المعتزِّ تُوُفِّيَ الإمامُ الهادي عليهِ السَّلامُ، مُتَأثِّراً بالسُّمِّ الذي يُقال إنَّ المُعتزَّ دَسَّه له في طَعامِه، وَكالعادَةِ أصدَر القُضاةُ وكِبارُ رِجالاتِ القصرِ شَهاداتِهمْ بأَنَّ الإمامَ عليه السَّلامُ ماتَ مِيتَةً طَبيعيَّةً. وعندَ انْتِشار خبرِ وَفاتِه اجْتَمع في دارِه نَفَرٌ كَبيرٌ من الهاشِميّينَ والعبّاسيّينَ، كما حَرَصَ رِجالُ المعتزِّ أنفُسُهم على حُضورِ مَأتَمِهِ والسَّيْرِ في جَنازَتِه. وقد صَلّى على جُثمانِهِ الطّاهِرِ ابنُهُ أبو مُحَمَّدٍ الحَسنُ العَسْكَرِيُّ عَليهما السَّلامُ، وَدُفِنَ في بَيتِه في سامُرّاءَ سنةَ ٢٥٤ للهِجرةِ.

جَعفرٌ الكَذّابُ

تركَ الإمامُ الهادي عليهِ السَّلام أربعةَ أبناءٍ وبِنتاً واحِدةً. أكبَرَهُمْ الإمامُ العَسْكَريُّ عليهِ السَّلامُ، وقد عُرِفَ عنْ أبنائِهِ الآخَرينَ الصَّلاحُ والتَّقوى والذِّكْرُ الطَّيِّبُ، غيرَ واحِدٍ مِنهُم وهُو جَعفرٌ.



كـانَ جَعفرٌ سَيِّءَ السُّمْعَـةِ والسِّيـرَةِ، يُثِيـرُ الفِتَنَ، ويَنْسُجُ الأَكاذيبَ. حتى سُمِّيَ بِجعفرٍ الكَذّابِ. وَيُذكِّرُنا جَعفرٌ بابْنِ نَبِيِّ اللهِ نُوحٍ عليهِ السَّـلام، فَقدْ كـانَ أيْضاً وَلَداً غيرَ صالِحٍ، وكـانَتْ نِهايـةُ جَعفرٍ إلِى الإهمـالِ، وانصرافِ النّاسِ عنْهُ، رَغمَ أنَّهُ ابنُ إمامٍ وأخو إمامٍ.

ومن هنـا يَتَبَيَّنُ أنَّ العملَ الصّـالِحَ والتَّقـوى هُمـا مقياسُ القُرْبِ إلى اللهِ تَعالى والبُعدِ عنهُ سُبحانَـهُ، وأَنَّ النَّسَبَ وإنْ كانَ فَرْعاً من أَصْلٍ طَيِّبٍ طاهِرٍ، فَلَنْ يُفيـدَ المرءَ إذا كانَتْ سِيرتُهُ غَيرَ ذلكَ.

وإنَّ محبَّتَنَا واحْتِرامَنا لأَهلِ البيتِ عليهِم السَّلامُ، وَاتِّخـاذَنا إيّاهُمْ قُدوَةً ومِثالاً، إنَّما تَـرجِعُ إلى سِيـرَتِهِمْ ومَواقِفِهِمْ العَظِيمة، ومَا عُرِفَ عَنْهُمْ مِنْ صِلاحٍ وتَقـوى وإيمـانٍ لم يكُنْ لِغَيرِهِمْ من العَـالَمِينَ، وكَانُـوا بـالحَقِّ فُروعاً طَيِّبَةً منْ شَجَرةٍ طَيِّبَةٍ مُباركَةٍ، طَهَّرَها رَبُّ العَالَمينَ بقولِه في مُحكَمِ كِتابِه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيـدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾. وَصـدقَ اللهُ العَظيمُ.